أسلوب الحكيم في رواية (عودة الروح)

عبد الباسط محمد عبده محمود

تقديم

العمل الأدبي هو رسالة موجهة من المنشئ إلي المتلقي تستخدم فيها نفس الشفرة اللغوية المشتركة بينهما. ويقتضي ذلك أن يكون كلاهما علي علم بمجموعة الأنماط والعلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي تكون نظام اللغة المشتركة، وهذا النظام يلبي متطلبات عملية الاتصال بين أفراد الجماعة اللغوية وتتشكل علاقاته من خلال ممارستهم كافة ألوان النشاط الفردي والاجتماعي في حياتهم.(١)

إن الأسلوب في الأصل صورة ذهنية تتملأ بها النفس وتطبع الذوق من الدراسة والمرانة وقراءة الأدب الجميل ، وعلي مثال هذه الصورة الذهنية تتألف العبارات الظاهرة التي اعتدنا أن نسميها أسلوبا لأنها دليله، وناحيته الناطقة الفصحى.(٢)

فالأسلوب اختيار أو انتقاء يقوم به المنشئ لسمات لغوية معينة بغرض التعبير عن موقف معين ،ويدل هذا الاختيار علي إيثار المنشئ وتفضيله لهذه السمات علي سمات أخري بديلة. ومجموعة الاختيارات الخاصة بمنشئ معين هي التي تشكل أسلوبه الذي يمتاز به من غيره من المنشئين.(٣)

"فإذا سمع الناس كلمة الأسلوب فهموا منها هذا العنصر اللفظي الذي يتألف من الكلمات فالجمل والعبارات ،وربما قصروه علي الأدب وحده دون سواه من العلوم والفنون، وهذا الفهم- علي صحته- يعوزه شيء من العمق والشمول ليكون أكثر انطباقا علي ما يجب أن يؤديه هذا اللفظ من معني صحيح، وذلك أن هذه الصورة اللفظية التي هي أول ما تلقي من الكلام لا يمكن أن تحيا مستقلة ، وإنما يرجع الفضل في نظامها اللغوي إلي نظام آخر معنوي انتظم وتألف في نفس الكاتب أو المتكلم فكان بذلك أسلوبا معنويا ،ثم يكون التآلف اللفظي علي مثاله ،وصار ثوبه الذي لبسه أو

١- الأسلوب دراسة لغوية إحصائية د/ سعد مصلوح عالم الكتب ط.٤ ٢٠١٠م،ص ٣٧

٢ - الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية د/أحمد الشايب مكتبة النهضة المصرية ط٨، ١٩٩١م ص ٤٣

٣ - الأسلوب دراسة لغوية إحصائية د/ سعد مصلوح ص ٣٧

جسمه إذا كان المعني هو الروح، ومعني ذلك أن الأسلوب معان مرتبة قبل أن يكون ألفاظا منسقة، وهو يتكون في العقل قبل أن ينطق به اللسان أو يجري به القلم " [١]

وفي هذا البحث نتعرض لمفهوم الأسلوب لغة واصطلاحا ، ثم الأسلوب في الرواية ونعرض تقسيم الدارسين للأسلوب ، ثم نتعرض بعد ذلك لأسلوب الحكيم في أعماله بشكل عام ،وفي (عودة الروح) بشكل خاص ، وكيف يقدم الحكيم الأسلوب علي الفكرة ويرفض وضع مقدمات في بداية القصص ، ونتعرض بعد ذلك لرأي طه حسين في الحكيم وأسلوبه في عودة الروح "موضوع الدراسة" ، وأخيرا هل تعد (عودة الروح) سيرة ذاتية أم رواية ؟

تعريف الأسلوب لغة واصطلاحا:

في لسان العرب :يقال للسطر من النخيل أسلوب ،وكل طريق ممتد فهو أسلوب والأسلوب :الطريق، والمذهب.يقال :أنتم في أسلوب سوء ،ويجمع علي أساليب والأسلوب الطريق تأخذ فيه ،والأسلوب الفن يقال :أخذ فلان في أساليب من القول ،أي أفانين منه.[٢]

إن الأسلوب منذ القدم كان يلحظ في معناه ناحية شكلية خاصة هي طريقة الأداء أو طريقة التعبير التي يسلكها الأديب لتصوير ما في نفسه أو لنقله إلي سواه بهذه العبارات اللغوية ، ولا يزال هذا هو تعريف الأسلوب إلي اليوم [٣]، فهو طريقة الكتابة أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو الضرب من النظم والطريقة فيه هذا تعريف الأسلوب الأدبي بمعناه العام.[٤]

---

١ – الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية د/أحمد الشايب ص ٤٠.

٢ – لسان العرب لأبن منظور " س ل ب "

٣ –الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية د/أحمد الشايب ص٤٣.

٤ – دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني تحقيق محمود محمد شاكر ،مكتبة الخانجي – القاهرة ط.٣ ١٩٨٩م. ص ٣٦١.

وفي الدراسات العربية القديمة:

وجدت كلمة "أسلوب" مجالا طيبا في الدراسات العربية القديمة ،خاصة في مباحث الإعجاز القرآني التي استدعت بالضرورة ممن تعرضوا له أن يتفهموا الكلمة عند بحثهم المقارن بين أسلوب القرآن وغيره من أساليب العرب متخذين ذلك وسيلتهم لإثبات الإعجاز.[١]

فقد ربط ابن قتيبة بين الأسلوب وطرق أداء المعني في نسق مختلف بحيث يكون لكل مقام مقال، كما ربط الأسلوب بالقطعة الأدبية كلها، وتوصل إلي ربط بين النوع الأدبي وطرق الصياغة.[٢]

أما فخر الدين الرازي فلم يكتف بالربط بين الأسلوب والنوع بل قدم إضافة جديدة لو وجدت من ينميها بعده لقدمت الدراسات النقدية القديمة دفعة رائعة في مجال دراسة الأسلوب ، وهي محاولته لربطه بين الأسلوب والمبدع .

وتعرض "الزمخشري" للأسلوب في حديثه عن خاصية أسلوبية " الالتفات "حيث ربط بين معني الأسلوب والخصائص الأسلوبية أو بين الأسلوب والطاقة التعبيرية الكامنة فيه.

وربط "السكاكي" بين معني الأسلوب وخاصية أخري في التعبير ،وهي خروج الكلام عن مقتضي الظاهر بما يحويه من أفانين بلاغية ، وأطلق عليه " الأسلوب الحكيم" .

كلمة " الأسلوب" إذن ظهرت في تراثنا العربي القديم علي نحو ربطت فيه بين مدلول اللفظ وطرق العرب في أداء المعني ، أو بينه وبين النوع الأدبي وطرق صياغته ، كما أنها ربطت بينه وبين شخصية المبدع ومقدرته الفنية ، كما أنها ربطت أيضا بينه وبين الغرض الذي يتضمنه النص الأدبي ، وقد يتساوى مفهوم الكلمة مع مفهوم النظم

---

١ – البلاغة والأسلوبية محمد عبد المطلب مكتبة لبنان ، الشركة المصرية العامية للنشر ٢٠٠٨ ص ١٠.

٢ – البلاغة والأسلوبية محمد عبد المطلب ص ١١.

الذي يمثل الخواص التعبيرية في الكلام ، لكن كل ذلك لم يقدم نظرية مكتملة يمكن اعتبارها بحثا أسلوبيا عربيا في المجال التنظيري أو التطبيقي .[١]

الأسلوب في الرواية :

إذا كان الأصل في الوصف تصوير المشاهد والمشاعر ،فإن الأصل في الرواية حكاية الحوادث والأعمال بأسلوب ينتهي إلي غرض مقصود.

وفي العصر الحديث أخذت الرواية وضعا فنيا ، وخضعت لبعض القوانين في التأليف والأسلوب فكثرت أشخاصها وحوادثها وتشابكت ثم تعددت مواقفها ونتائجها ، ثم تنوعت من ناحية موضوعها إلي رواية تاريخية واجتماعية وفلسفية وفكاهية ، ومنها النوع التمثيلي والقصصي للقراءة إلي غير ذلك .[٢]

و ذهب الشايب إلي مواصفات الأسلوب في الرواية حيث يقول : " لابد أن تكون العبارة منوعة بين الرقة والقوة حسب المواقف والشخصيات ،فلغة الرجال غير لغة النساء ، ومواقف الوعيد تخالف مواقف العتاب ،ولكنها مع ذلك قوية تصور العواطف والأفكار والمناظر أصدق تصوير ،وتجعل القارئ كالمشاهد ، كأنه يشترك في حوادث الرواية ، يتنوع الأسلوب بين القصص والوصف والحوار ، ولكن الوصف يقصر ويوجز – لأن مهمته التمهيد وتصوير البيئات- حتي لا يعرقل سياق القصة ، والحوار يكون بسيطا دقيقا ، يخلص القصة من الرواية وهو عماد الروايات التمثيلية .[٣]

ولقد أصبحت كلمة " أسلوب" مرادفة لكلمة " الشخصية" في المعني ، أو تكاد ويمكن تعريف الأسلوب بأنه " طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها

١ – البلاغة والأسلوبية محمد عبد المطلب ص ١٧٢

٢ – الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية د/أحمد الشايب ص١٠٩

٣ – الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية د/أحمد الشايب ص١١١

للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير" ،أو هو "طريقة التفكير والتصوير والتعبير" [١]

والغربيون يكادون يجمعون علي أن الأسلوب هو " طريقة التعبير الخاصة بأديب من الأدباء في فن من الفنون "[٢] . وسبب "اختلاف الأساليب راجع إلي اختلاف شخصيات الأدباء من حيث أذواقهم ومواهبهم العقلية ، ودرجة انفعالهم ، وطبائعهم الخشنة أو الرقيقة ، وطريقة تفكيرهم وتصويرهم ..."[٣]

"وأسلوب الكاتب نتيجة طبيعية لمواهبه وصورة لشخصيته هو .. ولا يمكن أن يكون صادقا قويا ممتازا إلا إذا استمده من نفسه ، وصاغه بلغته وعباراته دون تقليد سواه من الأدباء ؛لأن كل أسلوب صورة خاصة بصاحبه تبين طريقة تفكيره وكيفية نظره إلي الأشياء وتفسيره لها وطبيعة انفعالاته ، فالذاتية هي أساس تكوين الأسلوب ..."[٤] ؛ولذلك يذهب بعض النقاد إلي أن " الأسلوب نصف العمل الأدبي " [٥]

الأسلوب عند الحكيم:

إن كلمة الأسلوب من الكلمات الشائعة في عصرنا هذا عندما نتكلم عن الآثار الأدبية ،نقرؤها أو نسمعها غالبا مقترنة بأوصاف معينة مثل :

أسلوب سهل أو معقد ، متين أو ركيك ، غريب أو مألوف....إلخ.

أسلوب رصين أو سلس ، ممتع أو مشوق ، جدي أو هزلي ....إلخ.

---

١ – السيرة الذاتية في الأدب السعودي د/ عبد الله بن عبد الرحمن الحيدري ط.٢ دار طويق للنشر والتوزيع ٢٠٠٣. ص ٥٧٠.

٢ – في الأسلوب الأدبي ،علي بو ملحم، دار الهلال –بيروت ٢٠٠٨م ، ص ٤

٣ – الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية د/أحمد الشايب ص٥٤

٤ – الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية د/أحمد الشايب ص١٣٣

٥ – البلاغة والتحليل الأدبي د/ أحمد أبو حاقة ط.١ بيروت :دار للملايين ، ١٩٨٨ م ص ٢١٨.

فكلمة (الأسلوب) كلمة مطاطة يمكننا أن نستعملها عندما نتحدث عن عبارة قصيرة أو عن قطعة كاملة أو عن مجموع شعر الشاعر أو نثر الكاتب . إن كلمة الأسلوب تحمل نوعا من الدلالة علي القيمة الأدبية ،ففي جميع الاستعمالات هناك حكم بالاستحسان أو ضده، أما إذا استعملت غير مقترنة بوصف كأن تقول مثلا:" فلان عنده أسلوب " فإنها تدل علي أنك تستحسن طريقته في الكتابة.(١)

وإذا كانت كلمة (الأسلوب) تدل علي كل هذه المعاني ،فطبيعي أن تحتل مكانة تشبه مركز الدائرة بالنسبة إلي العمل الأدبي في تفكير كثير من المنشئين والنقاد .

ومن هؤلاء توفيق الحكيم الذي يجمع كل مشكلات نشأته الأدبية في كلمة الأسلوب ، يقول مخاطبا صديقه الفرنسي ..: " عزيزي أندريه ... هل حقا تفهمني؟؟ وهل تقدر ما أنا فيه ؟ ... إنها دائما حالة القلق والبحث والتنقيب عن الأسلوب ."(٢)

ولكنه يقول في رسالة أخري : " إن اعتراضات الجميع لا تتغير لماذا تحاول أن تتكلف الأسلوب تكلفا ؟! إنه لا يفوح من أسلوبك الفرنسي أي عطر شخصي آخاذ... إنما هي عبارات محفوظة في كتب البلاغة تحسب أنها أسلوب رائع!

" حقا إن احتفالي بأمر الأسلوب قد أوقعني في التقليد ... آه .. لكلمة الأسلوب ، لقد بدأت أبصر وقتئذ... لقد تبين لي بعد طول الجري والجهد أن الأسلوب أحيانا حجة الكاتب الذي لا يجد ما يقول ... إن الذي عنده ما يقول للناس يخرج بكل بساطة ما لديه من كنوز... لا يحفل بأسلوب التقديم ، ويتكلف الوضع المسرحي في الإعطاء إلا ذلك الذي يعطي شيئا تافها! ما الأسلوب إلا تلك الآلة الصناعية التي نتوسل بها للوصول إلي الحقيقة ولكن ما أورع الحقيقة لو تفجرت وحدها من أعماق القلب

---

١ – مدخل إلي علم الأسلوب ، شكري محمد عياد ، مكتبة الجبرة العامة ط. ١ ،١٩٨٢م ص ١٣ .
٢ – زهرة العمر توفيق الحكيم ص ١٥٥.

الصادق ،وفي كلمات بسيطة... لهذا كان الأسلوب أحيانا كل أدب أولئك الذين لا يحملون في جعبتهم ما ينفع الناس "[١]

وهذا تناقض عجيب ، لا يمكن تفسيره إلا بتغيير موقف الكاتب من الأسلوب ، أو بأنه يعني بالأسلوب في الحالة الثانية غير ما كان يعنيه في الحالة الأولي ،وهو يشعر ببعض هذا الاختلاف عندما يضيف قائلا في الرسالة نفسها[٢] : " إن مهمة كاتب مصري أو شرقي لأشق وأعسر ... ولكن لابد من جهادنا حتى في بلادنا أيضا ،فإن الأسلوب السليم لم يزل في عرفنا مرادفا للغة المتصنعة المنمقة ،وقليل من فطن إلي أن الأسلوب هو روح وشخصية "[٣] ،هما إذا معنيان للأسلوب ،يتصارعان في ذهن الكاتب العربي أو الشرقي ،ورفض الحكيم للمعني الأول (اللغة المتصنعة المنمقة) لا يمنعه من مواصلة البحث عن الأسلوب الحقيقي – الأسلوب الذي هو روح وشخصية ، وهو يحاول أن يستلهم هذا الأسلوب من التراث ومن الحياة معا ، يقول الحكيم عن مصادر استلهام الأسلوب عنده: " إني أضع دائما نصب عيني هذه المصادر الثلاثة أستلهمها فنيا: "القرآن" و"ألف ليلة وليلة "و" الشعب " أو "المجتمع" !

ولكن الأسلوب ! الأسلوب ! لطالما شغلتك معي بالحديث عن الأسلوب الفني الذي أبحث عنه.. أين أجده أخيرا؟..ومع ذلك في وهمي أنه قد يكون علي مقربة مني دون أن أشعر !

إنه "القالب "الذي بدأت معالجته قبل نزوحي إلي أوروبا ومن أجله انصرفت حتى عن الكتابة السياسية "المحترمة" في نظر أهل بلادي !..لا يمكن أن يكون هذا الوقت والجهد قد أنفقا عبثا ..لم لا تقول إن الحوار هو أسلوبي الذي أتحرق بحثا عنه ؟.. لقد كان هو الناحية التي استرعيت نظر من اطلع علي مخطوطاتي في فرنسا من

---

١ – زهرة العمر ، توفيق الحكيم ص ١٦٥.

٢ – مدخل إلي علم الأسلوب ، شكري محمد عياد ، ص ١٣

٣ – زهرة العمر ، توفيق الحكيم ص ١٦٥.

أدباء وفنانين ..آه.. لم أمكن إدخال "الحوار" قالبا أدبيا وبابا مرعيا في الأدب العربي ."[١]

وفي مرحلة أكثر نضجا (بعد أن وجد أسلوبه) يتحدث الحكيم عن الابتكار الأدبي فينفي نفيا قاطعا أن يكون الابتكار صفة راجعة إلي الموضوعات أو الأفكار ويضيف: " وقد تسألني بعدئذ :ما هو الابتكار الفني ؟ فأقول لك بسرعة وبساطة : هو أن تكون أنت... هو أن تحقق نفسك ،وهو أن تسمعنا صوتك أنت ..ونبرتك أنت "[٢]

ويتحدث عن أسلوب الكاتب ،فيقول:"من المسائل التي شغلتني مسألة الأسلوب كنت ما فتئت أسأل نفسي : ما هو أسلوبي الخاص؟؟ وأين أجده وكيف أصنعه؟؟ وبعد طول السؤال اهتديت إلي جواب ينهي حيرة هذا السؤال قلت :وما هي مشيتي الخاصة ؟ وكل منا له مشية . فهل ونحن نمشي في الطريق نبحث عن مشيتنا الخاصة ؟

إذا فعلنا ذلك فإن منظرنا يصبح مضحكا . ولقد قيل في الحكايات إن الغراب أراد أن تكون له مشية العصفور بقفزاته الرشيقة ،فلم ينجح . لذلك قلت لنفسي : ولماذا لا أمشي وكفي ، دون أن أفكر في نوع المشية . أمسك القلم واكتب ولا تسأل عن الأسلوب ،فإذا كنت صادقا مع نفسك فإنك سوف تمشي مشيتك أنت.

الأسلوب ليس ألفاظا مرصوصة ولا لغة مصنوعة .إنه قبل كل شيء روح وشخصية ولا يخلق الأسلوب الحق إلا الكاتب الصادق ،إلي حد ينسيه أنه ينشئ أسلوبا[٣] فالبلاغة الحقيقية هي الفكرة النبيلة والصورة الجميلة في الثوب البسيط ، هي التواضع في الزي والتسامي في الفكر ،كذلك كان أسلوب الأنبياء في حياتهم:انظر

---

١ – زهرة العمر توفيق الحكيم ص ١٧٠.

٢ – فن الأدب توفيق الحكيم ص ١٢.

٣ – ٨٥ شمعة في حياة الحكيم محمد السيد أبو شوشة ص ١٣١.

إلي "محمد" و" عيسي" مثلا :بساطة في الملبس ،وتواضع في المظهر وسمو في الشعور والتفكير..."[١]

والجهد المضني الذي يبذله كل فنان ليصبح له أسلوبه الخاص أو صوته الخاص لا يعدو في الواقع التحرر من تأثيرات سابقيه .. ولكن كيف ينجح في صياغة أسلوبه يجد نفسه أسير هذا الأسلوب . وكيف يخرج عن طريقته وأسلوبه ؟ إنها ذاته... تلك مأساة الطابع والشخصية ،مادام قد صار له طابع فلن يخلع عنه أبدا.. ولا بالموت.

إن هذه الانطباعات جميعها انطباعات صادقة ، ومهما يكن من تناقضها الظاهري فهي جميعا تصور المعاناة التي يجدها الكاتب المبدع فيما يسمي الخلق الأدبي ، وإذا كان ثمة معني واحد مشترك بينها جميعا فهو أن (الأسلوب) يطلق علي شكل العمل الأدبي ،ولكن المشكلة هي أن هذا الشكل يؤثر فيما يراد قوله ، ومن هنا يجني أسلوب الكاتب المتقدم علي شخصية الكاتب الناشئ الذي يحاول تقليده. فهل يذهب الحكيم إلي القول بأن شخصية الإنسان لا علاقة لها بأفكاره؟؟ ربما كان جوهر المشكلة هو تحديد ما يراد بالأفكار فحقائق علم الطبيعة أو علم الفلك أفكار ، وتأملات الفيلسوف أفكار ، وتخيلات الشاعر أفكار كذلك وإلا فماذا يمكن أن نسميها؟

من الواضح أننا لا نستطيع أن نتكلم عن الأسلوب كلاما مستقيما يتجاوز حدود الانطباعات الجزئية أو الوقتية ، ما لم نحدد مفهومنا "للأفكار " التي توجد في الأدب أو لا توجد فيه، وينبغي لنا عندما نحاول ذلك ألا ننسي أن هذا الأدب الذي نتحدث عنه ليس شيئا مجردا ، ولكنه سلاسل من الأصوات التي نسمعها بآذاننا ،أو تتردد في حسنا السمعي الداخلي إذا كنا قد تعودنا أن نقرأ قراءة صامتة. [٢]

أما الحكيم فيذهب إلي أن الفنان قادر عبر العصور علي ابتكار كل مرة طريقة جديدة للتعبير عن الأفكار أو الموضوعات القديمة ، يقول : " لأن الفن ليس في

---

١ – زهرة العمر توفيق الحكيم ص ١٤٦.

٢ – مدخل إلي علم الأسلوب ، شكري محمد عياد ، مكتبة الجبرة العامة ط. ١ ،١٩٨٢م ص ١٧

ذات الكلام أو الفكرة أو العاطفة ،إنما هو في ألوان الأثواب التي ترتديها هذه الأشياء علي مدي الأحقاب . إن الفن هو الأسلوب ، والأسلوب هو الفنان "[١]

إن السر كله إذن في الأسلوب ، ولذا فامتلاك زمام أمره ليس سهلا وإلا لأصبح كل الناس من معشر الفنانين .كما أن الأسلوب لا يتاح للكاتب بمجرد التمكن من ناصية اللغة ،إذ لابد للكاتب من الابتكار والتمكن من إبداع الأسلوب الخاص به : " ولست أعني بالأسلوب (اللغة المنمقة) إنما الأسلوب هو الطريقة التي يبتكرها الكاتب أو الفنان لاقتناص أدق المشاعر وأرفع الأفكار . الأسلوب هو وحده الذي يشقي في سبيل الكاتب والفنان طوال الأعوام " [٢]

ومن شدة اهتمام الحكيم بالأسلوب نظر إليه كأداة فنية تلتصق بذات المبدع وطبعه ، حتي يكاد يصبح التعبير الصادق عن الذات ، يقول :" الأسلوب هو مزاج الفنان وطبيعته ووسيلته الخاصة في إظهار مكنون فكره.. أو هو الشخص كما قال (بوفون) هذا صحيح إلي حد ما :إن الكاتب إذ يخلو إلي نفسه وقلبه ، ويترك التصنع والتقليد يستطيع أن يهتدي إلي أسلوبه.. لكن الطريق ليس هينا : ذلك الطريق الوعر الطويل بين الإنسان وقلبه !.."[٣]

واعتبار الأسلوب موهبة توهب للكاتب لا ينفي ضرورة التمرن والسعي لاكتسابه ، فالحصول علي مقود الأسلوب يعني النضج الفني ،لكن بلوغ هذا النضج يستغرق سنوات طويلة [٤].

يقول الحكيم عن الأسلوب:" ما الأسلوب إلا تلك الآلة الصناعية التي نتوسل بها للوصول إلي الحقيقة، ولكن ما أروع الحقيقة لو تفجرت وحدها، ومن أعماق القلب

---

١ – تحت المصباح الأخضر ، توفيق الحكيم ص ٨٩.

٢ – تحت المصباح الأخضر ، توفيق الحكيم ص ٨٩.

٣ – تحت شمس الفكر ، توفيق الحكيم ص ٨٤.

٤ – تحت المصباح الأخضر ، توفيق الحكيم ص ٨٩.

الصادق في كلمات بسيطة لهذا كان الأسلوب أحيانا كل أدب أولئك الذين لا يحملون في جعبتهم ما ينفع الناس "[١]

ويتجلى الوصول إلي امتلاك الأسلوب في قدرة الفنان علي إبهار المتلقي وإقناعه بالفكرة التي يؤمن بها هو : " الأسلوب هو طريقتك الخاصة في الظفر بإعجاب الغير وشعوره وفكره ليري ما تري ويحس ما تحس ويفهم ما تفهم " [٢] والأهم بالنسبة له الطريقة التي يصوغ بها الفنان موضوعه ،وأصبح من الأفضل أن نسأل الكاتب : كيف تقول ؟ بدل أن نسأله :ماذا تقول ؟ وتعليله لذلك هو أن الأفكار قد تم التعبير عنها منذ سالف الأعصر ،وما عاد يهم سوي الثوب الذي نلبسه لتلك الأفكار [٣]،حتى تبدو مقبولة ، والأكثر من هذا ألا تبدو أفكارا معادة .

فالعبرة في الفن تكمن في الوسيلة لا الغاية ، وفي الأسلوب لا الفكر:" إن رجل الفن.. وهو المقلد الصغر للمبدع الأكبر يدرك أن الفن يعيش بالغاية ،لأن الغاية فانية كاسمها، وإنما يعيش الفن بالأسلوب لقد انقضت الغاية من تشييد الأهرام ...وبقي أسلوب الفن وحده خالدا في الأهرام "[٤]

رأي طه حسين في الحكيم وأسلوبه في عودة الروح:

أما طه حسين فظل هو الآخر علي قناعة بأن الحكيم هو صاحب الفضل الأول في ميلاد فن الأدب التمثيلي في الأدب العربي كله ،وأعاد علي مسامعه هذا الرأي وهو يستقبله في مجمع اللغة العربية سنة ١٩٥٤م حين قال: "لأول مرة إذن ظهر بيننا كاتب يحاول أن ينشئ فن التمثيل باللغة العربية ، لا يترجم ولا يقلد فيه ، ولا يتكلف فيه ما كان يتكلف الكتاب الذين كانوا يحاولون أن ينتجوا في التمثيل ،وإنما يقبل عليه كأنه خلق له منذ خلق ، يتصرف فيه كأنما خلق ليتصرف فيه. وليكون كاتبا ممثلا لا

---

١ – زهرة العمر توفيق الحكيم ص ١٤٤.

٢ – التعادلية ، توفيق الحكيم مكتبة الآداب ص ٦٨.

٣ – تحت المصباح الأخضر ، توفيق الحكيم ص ٨٩.

٤ – تحت شمس الفكر ، توفيق الحكيم ص ٥٦.

يظهر التكلف في حرف من حروف هذه القصة ،وإنما هي تأتي يسيرة سهلة كأنما أوحيت إليك (مخاطبا الحكيم) أو كأنما ألهمتها الهاما ، وكأنما ارغمت علي أن تكتب فكتبت ، وكأنما كنت أداة تتلقي وتنتج ،وتؤدي ما تتلقي فتحسن الأداء، كأن معني هذا كله أنك كنت كاتبا ممثلا مطبوعا...أنت كاتب نابه، بل أنت كاتب نابغة ما في ذلك شك، قد اجتمع الناس علي إكبار فنك، واجتمع علي إكبار فنك النقاد منهم وغير النقاد، واجتمع علي إكبار فنك الذين يلتمسون الظهر في الساعة الرابعة عشرة من النقاد مثلي ، وقد اجتمع العرب كلهم علي إكبار فنك، وقد تجاوزت–لا أقول– حدود وطنك ،بل حدود العالم العربي "[١]

وأما عن رأيه في أسلوب الحكيم في رواية (عودة الروح) يقول طه حسين : " ولم تكد قصة "أهل الكهف "تظهرك للقراء في مصر حتى أظهرتك قصة أخري غير تمثيلية ولكنها أقرب إلي التمثيل منها إلي القصص ،وهي "عودة الروح" . فأنت في عودة الروح تقص ولكنك تمثل علي رغمك. فالأشخاص أحيانا يذهبون ويجيئون وحياتهم ماثلة أمامنا لا نتحدث عنها ، أولا ينبغي أن نتحدث عنها بالفعل الماضي ، وإنما ينبغي أن نتحدث عنها بالفعل المضارع كما أن نتحدث عن أشخاص القصة ، وأن يعملوا وأن يقولوا وأن يأتوا ما يأتون من الحركات التي يأتيها أشخاص القصة التمثيلية . فأنت في قصصك أكثر منك قاصا.

وكانت "عودة الروح" هذه هي التي حببتك إلي عامة القراء الذين يقربون من الشعب ،ولا يسمون إلي ارستقراطية التفكير ،ذلك لأنك اقتطعت هذه القصة من حياة الشعب اقتطاعا.

صورت الحياة المصرية كما يحياها الأوساط من المصريين ،كما يحياها الفقراء من المصريين أيضا ، وصورت كثير من الحب والشغف بها والفناء فيها ، كأنما كنت تصور نفسك ، لأن كل المصريين الذين صورتهم في هذه القصة يتصلون بك من قريب أو بعيد.

---

١ – أيام العمر "رسائل خاصة بين طه حسين وتوفيق الحكيم ، إبراهيم عبد العزيز مكتبة الأسرة ٢٠٠٣ ص ٣٣

وقد صورت الشعب تصويرا حسنا .. حين أنطقت بهذا –في قصصك– ذلك الأثري الذي كان يجادل فيه ذلك المفتش الانجليزي: شعب غني قوي ولكنه يجهل ثروته ويجهل قوته.[١]

ويقول في موضع آخر: " الآن وبعد أن أتممت دراستها أشعر أنه من الواجب علي أن أكرر شكري مرة أخري ،أن أهنئك من كل قلبي لنجاحك للمرة الثانية في خلال عام واحد ، من تحقيق تقدم جديد في تقدم الأدب المصري المعاصر .إني لأجد أن الجزأين يستدعيان الإعجاب المطلق لأنهما يرسمان لوحة للحياة المصرية المعاصرة" [٢]

(عودة الروح) بين الرواية والسيرة الذاتية :

بعد معرفة أسلوب الحكيم في (عودة الروح) وأنه يتحدث عن البطل "محسن" الذي يمثل قصة حياة توفيق الحكيم ،فلنا أن نتساءل ما الحد الفاصل بين الرواية الفنية الخالصة والسيرة الذاتية في القالب الروائي ؟ وهل (عودة الروح) تعد رواية أم سيرة ذاتية ؟

يجيب الدكتور /يحيي عبدالدايم بالقول: " إذا لجأ (كاتب السيرة الذاتية) إلي الشكل الروائي فإنه يصبح في حالة تحدو به أن يفصح عن غايته ؛ليزيل اللبس ، مجاهرا بأن يكتب ترجمته الذاتية في هذا القالب ، وإلا فإن المتلقي سيقرؤها علي أنها رواية ، لا علي أنها التاريخ الشخصي الحقيقي لكاتبها ؛ لأن الكشف عن الغاية في حالة اختيار القالب الروائي هو الحد المميز بين الرواية الفنية الخالصة ،وبين الترجمة الذاتية ..."[٣]

أما الدكتور ماهر حسن فهمي فيدعو إلي التفريق بين السيرة الذاتية والرواية التي يمكن أن تفسر بأنها سيرة ذاتية ، وأنه لا يمكن أن نتوقع بينهما تطابقا كاملا

---

١ – أيام العمر "رسائل خاصة بين طه حسين وتوفيق الحكيم ، إبراهيم عبد العزيز ص٣٧.

٢ – أيام العمر "رسائل خاصة بين طه حسين وتوفيق الحكيم ، إبراهيم عبد العزيز ص ٤١

٣ – الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، د/ يحيي إبراهيم عبد الدايم ، دار النهضة العربية بيروت ط.١ سنة ١٩٧٩م ص ١١٦

كتطابق المثلثات ،وغنما هو التقاء الأصل بالرمز"[١] ويتساءل :تري إلي أي حد يمكن أن نعد هذه الروايات ،أو هذا اللون من التخفي سيرة ذاتية حقيقية ؟ ويجيب : الواقع أننا لا نستطيع الاعتماد عليها موضوعيا بعد أن لمسنا فيها تشابك الحقيقة والخيال"[٢]

ولقد سعي بعض دارسي فن السيرة الذاتية إلي تفسير طائفة من الروايات المعروفة في العالم العربي مثل:(زينب) لهيكل،(سارة) للعقاد و(عصفور من الشرق)للحكيم،وغيرها من الأعمال الروائية بأنها ما هي إلا سيرة ذاتية في قالب روائي [٣]

يقول الدكتور"هيكل":" فهذه الرواية وإن استخدمت الوسائل النفسية وعبرت عن تجربة شخصية وصدرت جوانب اجتماعية طبقية بما يمكن معه أن تندرج تحت لون أو أكثر من الألوان الروائية السابقة وهي في الوقت نفسه لا يبرز في نسيجها خيط من الخيوط السابقة كما يبرز الخيط الذهني الذي يطغي علي بقية الخيوط حتى يكاد يخفيها "[٤]

ويقول الدكتور عبدالمحسن طه بدر في تطور الرواية العربية الحديثة : " وفي "عودة الروح" لتوفيق الحكيم نلتقي بأنجح المحاولات التي استغلت الترجمة الذاتية ، لتقدم لنا رواية فنية حققت قدرا كبيرا من النجاح . وحين تختفي ملامح الترجمة الذاتية في "عودة الروح" فإنها لا تختفي لتفسح المجال لنزعة عقلية متطرفة ،كما لمسنا في رواية "سارة" ،ولكنها تترك مكانها لتبرز لنا ملامح الرواية الفنية وتثبت وجودها."[٥]

---

١ السيرة تاريخ وفن د/ ماهر حسن فهمي مكتبة النهضة المصرية ط. ١ سنة ١٩٧٠م ص ٢٩٥

٢ – السيرة تاريخ وفن د/ ماهر حسن فهمي مكتبة النهضة المصرية ط. ١ سنة ١٩٧٠م ص ٢٩٥

٣ –السيرة الذاتية في الأدب السعودي د/ عبد الله عبد الرحمن الحيدري ص٢١١.

٤ – الأدب القصصي و المسرحي في مصر من أعقاب ثورة ١٩١٩ د/ أحمد هيكل ص ٢٢٩.

٥ – تطور الرواية العربية الحدية د/ عبد المحسن طه بدر ص ٣٧٦.

ويستطرد الدكتور عبد المحسن طه بدر حيث يقول في تطور الرواية العربية الحديثة : " إن رواية الحكيم-ويقصد "عودة الروح- لا تخلو من بعض التأثر بمظاهر الترجمة الذاتية ، وإن كان ذلك لا يحدث إلا نادرا ،وتظهر أبرز مظاهر هذا التأثر في أن المؤلف يستطرد في بعض المواقف للحديث عن مواضيع قد تكون طريفة ومؤثرة بالنسبة لحياته هو، ولكنها لا تؤثر كثيرا في روايته ، ومن أمثلة ذلك ما حدث في مقابلة "محسن" مع سنية حين سألته عن سر تعلمه الغناء ،فينتهز المؤلف الفرصة ليقطع الحوار ، ويخرج من الموقف ،ويتحدث بأسلوبه هو لا بأسلوب "محسن" عن ذكرياته وهو طفل مع الأسطى "شخلع" ،وكيف بدأت صلتها بأسرته ومصاحبته لها في الأفراح ، والنوادر والحكايات التي كانت تقصها عليه، وبعد أن يقطع المؤلف شوطا طويلا من روايته في الحديث عن هذه الذكريات[١] يعود إلي الموقف وإلي محسن وسنية من جديد ، حمله علي تخصيص كتاب مستقل له هو "أهل الفن" ،فإن صلته بالرواية تبدو ضعيفة خاصة أن المؤلف لا يعرضه من خلال محسن وهو في موقفه مع "سنية" ،ولكنه يتركهما ليحكي الحكاية بأسلوبه الخاص ثم يعود إليهما من جديد حين ينتهي من روايتها.[٢]

ويري البحث أن (عودة الروح) ما هي إلا صفحة من حياة الحكيم ،اختار أن يدونها بشيء من التعمية والمواربة ،ولم يرد أن يعلن ذلك صراحة ،فمحسن يمثل توفيق الحكيم مع شيء من التصرف ،وهذا ما أكده الحكيم نفسه فقال : " الصلة بين (عودة الروح)و(عصفور من الشرق) وبيني هي نفس الصلة الروائية المعتادة عند الروائيين جميعا ،عندما يكتبون علي أساس التجربة الشخصية مع التصرف الذي تفرضه الحبكة الروائية ...فأنا محسن في (عودة الروح) ،ولكن مع التصرف الروائي "[٣]

---

١ عودة الروح توفيق الحكيم ص ١٦٧.

٢ – تطور الرواية العربية د/ عبد المحسن طه بدر ص ٣٩١.

٣ – ملامح داخلية توفيق الحكيم ص ١٤٨.

الخاتمة

قد خرجت الدراسة بمجموعة من النتائج ، يمكننا أن نجملها فيما يلي :

١–نظر الحكيم إلي الأسلوب باعتباره أداة فنية تلتصق بذات المبدع وطبعه ،حتى يكاد يصبح التعبير الصادق عن الذات.

٢–العبرة في الفن تكمن في الوسيلة لا الغاية ، وفي الأسلوب لا الفكر.

٣– ويري البحث أن (عودة الروح) تجمع بين الرواية والسيرة الذاتية ،وفي حقيقة الأمر ما هي إلا صفحة من حياة الحكيم ،اختار أن يدونها بشيء من التعمية والمواربة ،ولم يرد أن يعلن ذلك صراحة ،فمحسن يمثل توفيق الحكيم مع شيء من التصرف .

المصادر والمراجع

١ - اتجاهات البحث الأسلوبي ، شكري عياد ،دار العلوم للطباعة والنشر – الرياض ط.١ ١٩٨٥م.

٢-. الأدب القصصي و المسرحي في مصر من أعقاب ثورة ١٩١٩ إلي قيام الحرب الكبرى الثانية د/ أحمد هيكل ،دار المعارف ط.٤ ١٩٨٣م .

٣ – الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية د/أحمد الشايب مكتبة النهضة المصرية ط٨، ١٩٩١م

٤ – الأسلوب دراسة لغوية إحصائية د/ سعد مصلوح عالم الكتب ط.٤ ٢٠١٠م.

٥- أيام العمر "رسائل خاصة بين طه حسين وتوفيق الحكيم ، إبراهيم عبد العزيز مكتبة الأسرة ٢٠٠٣

٦ – البلاغة والأسلوبية محمد عبد المطلب مكتبة لبنان ، الشركة المصرية العامية للنشر ٢٠٠٨ .

٧- البلاغة والتحليل الأدبي د/ أحمد أبو حاقة ط.١ بيروت :دار للملايين ، ١٩٨٨ م

٨- تحت المصباح الأخضر ، توفيق الحكيم مكتبة الآداب (د.ت)

٩- تحت شمس الفكر ، توفيق الحكيم .مكتبة الآداب (د.ت)

١٠- الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، د/ يحيي إبراهيم عبد الدايم ، دار النهضة العربية بيروت ط.١ سنة ١٩٧٩م

١١- الترجمة الشخصية د/ شوقي ضيف دار المعارف ط. ٤ ١٩٨٧م .

١٢ - تطور الرواية العربية الحدية د/ عبد المحسن طه بدر دار المعارف ط.٥ .

١٣- التعادلية ، توفيق الحكيم مكتبة الآداب.

١٤ - توفيق الحكيم المفكر ، صلاح طاهر دار الكتاب الجديد مصر (د.ت)

١٥-توفيق الحكيم يتذكر ، جمال الغيطاني المجلس الأعلى للثقافة مصر ١٩٩٨م

١٦- دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث د/أحمد درويش مكتبة الزهراء

١٧- دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني تحقيق محمود محمد شاكر ،مكتبة الخانجي – القاهرة ط.٣ ١٩٨٩م.

١٨- زهرة العمر توفيق الحكيم دار الشروق القاهرة ط.٢ ٢٠٠٨م.

١٩- السيرة الذاتية في الأدب السعودي د/ عبد الله بن عبد الرحمن الحيدري ط.٢ دار طويق للنشر والتوزيع ٢٠٠٣.

٢٠- السيرة تاريخ وفن د/ ماهر حسن فهمي مكتبة النهضة المصرية ط. ١ سنة ١٩٧٠م

٢١- ٨٥شمعة في حياة توفيق الحكيم ، محمد السيد شوشة دار المعارف .(د.ت)

٢٢ - علم اللغة والنقد الأدبي ، عبده الراجحي ، دار الفكر ، القاهرة ط. ١ ، ١٩٨٩م

٢٣- عودة الروح لتوفيق الحكيم ،مكتبة الآداب (د.ت)

٢٤- فن الأدب توفيق الحكيم مكتبة الآداب .

٢٥- في الأسلوب الأدبي ،علي بو ملحم، دار الهلال -بيروت ٢٠٠٨م

٢٦-في النص الأدبي دراسة أسلوبية إحصائية سعد مصلوح عالم الكتب ط.٣ ٢٠٠٢م.

٢٧- لسان العرب لابن منظور دار إحياء التراث العربي – بيروت ط.٣ ١٩٩٩م

٢٨- اللغة والإبداع الأدبي محمد العبد ، دار الفكر ، القاهرة ط. أولي ١٩٨٩

٢٩-. مدخل إلي علم الأسلوب ، شكري محمد عياد ، مكتبة الجبرة العامة ط. ١ ،١٩٨٢م

٣٠- ملامح داخلية توفيق الحكيم مكتبة مصر الفجالة (د.ت)

الرسائل والدوريات

١- التنظير المسرحي عند الحكيم ، رسالة دكتوراه

٢ – رواية السيرة الذاتية في أدب توفيق الحكيم دراسة نقدية تحليلية رسالة "ماجستير" إعداد / سامر صدقي محمد

الدوريات

– الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة يحيي أحمد ، الألسنية ، عالم الفكر ٣ المجلد العشرون، العدد الثالث ، أكتوبر ، نوفمبر ، ديسمبر ،١٩٨٩م ص ٧١-٧٤.